المبحث الثامن والعشرون: اختياره الرفيق الأعلى

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيّر بين الدنيا والآخرة, فسمعت النبي في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّةٌ[1] **[شديدة]** يقول: [illegible] قالت: فظننته خُيِّر[2] حينئذ[3].

وفي رواية عنها رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله وهو صحيح يقول: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يُرى مقعده من الجنة ثم يخيّر**» قالت: فلما نزل برسول الله وأسه[4] على فخذي غُشِيَ عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ثم قال: «**اللهم في الرفيق الأعلى**»

---

1 () البُحةُ: غِلظٌ في الصوت. انظر: شرح النووي 15/219.

2 () سورة النساء، الآية: 69.

3 () البخاري برقم 4436, 4437, 4463, 4586، 6348, 6509, ومسلم برقم 2444.

4 () وفي البخاري ((فلما اشتكى وحضره القبض)) رقم 4437.

فقلت: إذاً لا يختارنا, وعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح, قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها رسول الله : «**اللهم الرفيقَ الأعلى**»[1]. وقالت رضي الله عنها: سمعت النبي وهو مسند إليَّ ظهره يقول: «**اللهم اغفر لي وارحمني, وألحقني بالرفيق الأعلى**»[2] وكان متصل بربه وراغباً فيما عنده, ومُحبّاً للقائه, ومُحبّاً لما يُحبّه سبحانه, ومن ذلك السواك؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله توفي في بيتي, وفي يومي, وبين سحري[3], ونحري[4]، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته, دخل عليَّ عبد الرحمن [بن أبي بكر] وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله [إلى صدري][5] فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك, فقلت: آخذه لك؟ «**فأشار برأسه أن نعم**»

---

1 () البخاري برقم 4437, 4463 ومسلم 2444.
2 () البخاري برقم 4440, 5664.
3 () سحري: هو الصدر, وهو في الأصل: الرئة وما تعلق بها. الفتح 8/139, والنووي 15/218.
4 () ونحري: النحر هو موضع النحر. الفتح 8/139.
5 () في البخاري رقم 4438.

فتناولته فاشتد عليه, وقلتُ أُلَيّنه لك؟ «**فأشار برأسه أن نعم**» فلينته [وفي رواية: فقصمته, ثم مضغته[1] [وفي رواية فقضمته ونفضته وطيبته[2] ثم دفعته إلى النبي فاستنّ به[3] فما رأيت رسول الله استن استناناً قطّ أحسن منه][4] وبين يديه ركوة[5] أو علبة[6] فيها ماء, فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**» ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قبض ومالت يده)[7] .

وقالت عائشة رضي الله عنها: مات النبي وإنه لبين حاقنتي[8] وذاقنتي[9], فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي

---

1 () في البخاري برقم 980.
2 () طيبته: بالماء, ويتحمل أن يكون تطييبه تأكيداً للينه, الفتح 8/139.
3 () أي استاك به وأمَرَّهُ على أسنانه.
4 () في البخاري برقم 4438.
5 () الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث 2/260.
6 () شك بعض الرواة وهو عمر, انظر: الفتح 8/144.
7 () البخاري 2/377, برقم 890, وأخرجه البخاري في تسعة مواضع, انظر: 2/377, ومسلم برقم 2444.
8 () الحاقنة: ما سفل من الذقن وقيل غير ذلك, الفتح 8/139.

 [1].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة, ومنها:

1- إن الرفيق الأعلى: هم الجماعة المذكورون في قوله تعالى: [2] فالصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم أن المراد بالرفيق الأعلى هم الأنبياء الساكنون أعلى عليين. ولفظة رفيق تطلق على الواحد والجمع؛ لقوله تعالى: [3].

2- إن النبي اختار الرفيق الأعلى حين خُيِّر حبًا للقاء الله تعالى, ثم حبًا للرفيق الأعلى، وهو الذي يقول :

---

9 () والذاقنة: ما علا من الذقن وقيل غير ذلك, الفتح 8/139, والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة: هو ما بين السحر والنحر, والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها. الفتح 8/139.

1 () البخاري برقم 4446 , ومسلم برقم 2443.

2 () سورة النساء، الآية: 69.

3 () انظر: فتح الباري 8/138, وشرح النووي 15/219.

«من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه»[1].

3- فضل عائشة رضي الله عنها حيث نقلت العلم الكثير عنه , وقامت بخدمته حتى مات بين سحرها ونحرها؛ ولهذا قالت: **«إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله توفي في بيتي وفي يومي, وبين سحري ونحري»**.

4- عناية النبي بالسواك حتى وهو في أشد سكرات الموت, وهذا يدل على تأكد استحباب السواك؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب.

5- قول النبي في سكرات الموت: **«لا إله الله إن للموت سكرات»** وهو الذي قد حقق لا إله إلا الله, يدل على تأكد استحبابها والعناية بها والإكثار من قولها وخاصة في مرض الموت؛ لأن **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**.

6- حرص النبي على مرافقة الأنبياء ودعاؤه بذلك يدل على أن المسلم

---

[1] () البخاري برقم 6507, ومسلم برقم 2683.

ينبغي له أن يسأل الله تعالى أن يجمعه بهؤلاء بعد الموت في جنات النعيم, اللهم اجعلنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

7- شدة الموت وسكراته العظيمة للنبي وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر, فما بالنا بغيره.